تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا كتاب (السفينة) يشبه سفينة نوح ﴿فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وهذا الكتاب فيه عبرة ومَثَل، وقصة وشاهد، وآية وحديث، وبيت وموعظة، ولطيفة ونكتة، ومعقول ومنقول، وآثار وأخبار، يصلح سميراً وأنيساً، ويرشح رفيقاً وجليساً، فهو كالروض مختلف الأذواق والألوان ما بين جدول وخميلة، وطلٍّ وظل، وأطيار وأشجار، فسرّح فيه الطرف في أوقات الانتظار وسويعات الراحة، فربَّ سطر خيرٌ من عقد درّ، وعسى أن يحمل هذا الكتاب في طيّاته شوارد وفرائد، وقلائد وفوائد، أسعدك الله بقراءته، وآنسك بمطالعته، ولا تنسانا من دعوةٍ صالحة بظهر غيب ليؤمِّن على دعائك الملك في السماء بقوله: "ولك بمثل ذلك"، ولك مني الشكر على أن منحتني من وقتك الثمين وزمنك الغالي دقائق للتعارف، تقبّل الله منّا ومنك وجمعنا بك في الفردوس الأعلى.

د. عائض بن عبدالله القرني

المقدمة

اعلم أن كتابي هذا جاء وقد أنهيتُ الثامنة والأربعين من عمري، فهو ثمرة مطالعة أكثر من مليوني صفحة بلا مبالغة من كتب العلم كتاباً وسنة وتفسيراً وفقهاً وأصول فقه ونحواً وتاريخاً وثقافة وسياسة وأدباً ومعارف عامة مع الدوريات والمجلات والصحف والسماعات والمطارحات واللقاءات والحوارات والمساجلات، وجاء هذا الكتاب بعد أن أعان الله - وله وحده الفضل والمنّة - بتأليف أكثر من ثمانين مصنّفاً منها (لا تحزن) الذي زادت مبيعاته - والحمد لله - على مليوني نسخة (وخاب من افترى).

فالآن آن لك أن تصغي لي ساعة من عمرك في كتابي هذا وسوف أكون صريحاً فيه وقريباً منك (لدى الباب.... المتفضل) ولا يصدنك عنه أنك أعلم مني أو أفهم، فإن سليمان أنصت للهدهد لما جاءه من سبأ بنبأ، والبحر سيمطر السحاب (وما له فضل عليه لأنه من مائه) وهذا صيّب نافع طالما حجبته سحب التسويف، والسماء ترجى حين تحتجب، فآمل منك أن تشد عليه باليدين وتعض عليه بالنواجذ وكن كالسيارة لما رأوا يوسف الحسن فقالوا: يا بشرى هذا غلام، وهذا الكتاب أبواب متفرقة، فلا تدخله من باب واحد، وهو أشكال وألوان، صنوان وغير صنوان، أخرته حتى قاربت الخمسين وقد خطني الشيب وأخذ مني الزمان بنصيب، وكلما انهد الجسم زاد الفهم، وما أردت أن أستأثر به دونك فهذا من البخل ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ**﴾ (آل عمران: ١٦١) وقد سطرته لك..... كباقي الوشم في ظاهر اليد، فلا تقابل الحسنات بالصد والرد، ولكن غض الطرف عن الحيف، ولا تعرض درر هذا الكتاب على الأعمى بل أبقها في صدفها فهذا أسمى ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ولعل من حسن طالع هذا الكتاب أنه روضة غناء، صدحت أطيارها، وفاحت أزهارها، وتمايلت أشجارها واطردت أنهارها، فهو علم من القديم والحديث والمسلم وغيره، وهو نقل عن أهل الشرق والغرب والأذكياء والأغبياء والبررة والفجرة والملوك والعامة. هذا الكتاب أسطورة في الأدب ولك أن تسميه خرافة أو صيحة أو صاعقة ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ**﴾ (الرعد: ١٣) هذا الكتاب هو ثمرة قراءة أربعين سنة وعصارة ثقافة أربعين سنة وزبدة معاناة

أربعين سنة، قطفتُ لك فيه ألذ الثمار وأجمل الأزهار ودبّجتُ لك فيه أروع الأشعار وأفضل الأخبار، هذا الكتاب هو إبداع أكثر من ألف عالم وشاعر وكاتب وحكيم، وهو مأخوذ من أكثر من ألف كتاب، وهو علم وأدب وشعر ونثر وجدٌ وهزل وضحك مبكٍ، وهو أنيسك في السفر وسميرك في الحضر، كأنه علم على رأسه نار، يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، أمهرته نومي وتصدقتُ عليه براحتي ونقّبت من أجله في بطون الأسفار وقلّبتُ لأجله صفحات الأخبار واصطفيت له أبكار الأشعار، فلله كم من حِكمة فيه باهرة ومَثل سابر وبيت شرود، آية فحكمة وحديث شريف ونكتة لطيفة ومزحة خفيفة وعبرة موحية ونصيحة صادقة وحجة قائمة وبيّنة عادلة وقصة مؤثرة وحكاية مليحة، وفيه دقة الاستنباط وعمق الفقه وسلامة الذوق، هذا الكتاب أسطورة صدّق أو لا تصدق، فيه ما يخلب اللّب، ويأسر القلب ويثير المكنون ويبعث الشجون، والجنون فنون فما لهم لا يؤمنون، هنا الحرف الساحر يناديك ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾، هنا البيت الشارد يصيح بك: أقبل ولا تخف: شعراء الضلال سحّار فرعون وأنت العصا وأنت الكلام.

هنا يؤسر القلب فإما مَنّاً بعد وإما فداء، هنا يضحي الروح فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها، هنا عين البيان العذب: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، اخترت لك أبدع ما نظم وأرقى ما قيل وأروع ما كتب وأجمل ما حفظ وأحسن ما نقل، بهّرته لك بزنجبيل فاتر مع شهد مصفى بارد وماء غمامة زلال في رائحة فل وشذا مسك ونكهة كافور، وقد دعوت الله وأنا في بيته العتيق في أول رمضان لعام ١٤٢٧هـ أن يفتح عليَّ بفتوحاته الربانية.

وهذا الكتاب جاء بعد ثمانين كتاباً أعان الله على تأليفها إذاً فهو بعد رؤية وتجربة وصقل ذهن وشحذ خاطر، فخذه وأنت موفور الجانب على عثاره ولك نثاره، الصواب تقطف ثماره، والخطأ يوجب لك عليَّ اعتذاره، والسحر حرام لكن هنا سحر حلال وصيّب زلال وسوف لا تصبر عن قراءته بل تصبر على محادثته وما أقبح الصبر الجميل بعاشقيك وأجملك، لقد جعلت الناس في هذا الكتاب أصدقائي كلهم إلا من عقَّ الملّة وحارب الرسالة فهو عدوي وخصمي، وأنا احتسب الأجر في سحق ملاعب الوثنية وهدم صروح الخرافة ونسف معاقل الباطل ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ (النحل: ٢٦).